مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد12/العدد: 01 (2022)،
ص 1140-1158

العلاقة مع النص المكتوب: ممارسات و تصورات شباب جزائريين حول المطالعة

The relationship with written text: practices and representations of Algerian youth about reading

سارةبوشاقور [1]، غنية ضيف [2*]

[1] طالبة دكتوراه ،جامعة الجزائر 2، sarah.bouchakour@univ-alger2.dz

[2] أستاذة محاضرة قسم أ، جامعة الجزائر 2، ghanidif@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/11/08 تاريخ القبول: 2022/02/07 تاريخ النشر: 2022/06/28

ملخص:

المطالعة من منظور علم الاجتماع نشاط أو ممارسة يتعدد جمهورها و تتعدد أبعادها و معانيها. و اقترحت العديد من الدراسات ضمن العلوم الانسانية و الاجتماعية مقاربات لهذه الممارسة من زوايا مختلفة و متعددة. و قد اخترنا تناول المطالعة في هذا المقال باعتبارها ممارسة ثقافية، و نهتم بوجه الخصوص بالممارسات و التصورات الاجتماعية التي يبنيها الأفراد حولها. نهتم كذلك بآليات نشأة و تحول هذه الممارسة عبر المسار البيوغرافي للفرد. و من أجل ذلك، نستند إلى المقاربات الذرية الميكروسوسيولوجية بكل شروطها الابستيمولوجية و عتادها المنهجي مستعملين تقنية المقابلة البؤرية الجماعية مع مجموعة أفراد شباب جزائريين، أعضاء ناشطين في نوادي مطالعة بهدف استخراج المعاني الذاتية و التوصل إلى طبيعة العلاقة التي ينظمها الأفراد مع النص المكتوب.

كلمات مفتاحية: المطالعة. التصورات.، الممارسة. المعاني.، العلاقة.

Abstract:

Reading from the point of view of sociology is an activity or a practice for which the public, the dimensions and meanings are diverse. Many studies in humanities and social sciences have suggested approaches to this practice from different and multiple angles. In this article, we choose to investigate reading as a cultural practice, and we are particularly interested in the practices and the social representations that individuals build around it, as well as the mechanisms of emergence and transformation of this practice though the biographical

*المؤلف المرسل: سارة بوشاقور، الإيميل: sarah.bouchakour@univ-alger2.dz

journey of individuals. For this, we rely on the atomic, micro-sociological approaches with all their epistemological requirement and methodological equipment using the focus group technic with a group of young Algerians, active members of book clubs, in order to draw the subjective meanings and to discover the nature of relationship that individuals maintain with the written text.

Keywords: meanings, reading, relationship, representations, practice.

Résumé :

La lecture du point de vue de la sociologie est une activité ou une pratique dont le public, les dimensions et les sens sont divers. De nombreuses études en sciences humaines et sociales suggèrent des approches multiples et différentes de la lecture comme objet d'étude. Nous avons fait le choix, dans cet article, de traiter de la lecture en tant que pratique culturelle. Nous nous intéressons particulièrement aux pratiques et aux représentations sociales que les individus construisent autour ainsi qu'aux mécanismes de l'émergence et de la transformation de la pratique à travers le parcours biographique des individus. Pour cela, nous nous appuyons sur des approches atomiques, microsociologiques, avec leurs exigences épistémologiques et leurs outils méthodologiques en utilisant la technique du focus group avec un groupe de jeunes algériens, membres actifs de clubs de lecture dans le but de tirer les sens subjectifs et de découvrir la nature du rapport qu'entretiennent les individus avec le texte écrit.

Mots clés : lecture, pratique, rapport, représentations, sens.

- **مقدمة**

يقترح المقال مقاربة سوسيولوجية لعلاقة الفرد بالمطالعة من حيث الممارسات و التصورات، لكن حتى ضمن علم الاجتماع نفسه نجد مداخل كثيرة للاهتمام بالموضوع. إذ « يمكننا دراسة المطالعة انطلاقا من مضامينها عامة أو عبر المؤسسات المسؤولة عنها مثل المدرسة، النشر و المكتبات... و كذلك عبر المواد الحاملة كالكتاب أو المجلات أو الجرائد... لكن يبدو لنا أن الاهتمام بالمفوضين (agents) أو الفاعلين (acteurs) بكل مستوياتهم الإجتماعية أحسن طريقة لاقتراب هذه الظاهرة لأنهم النقطة التي تلتقي فيها كل جوانب المطالعة بكل المؤسسات الإجتماعية»(ROBINE, 2000, p. 9) .

علينا أن ندقق أولا في مدلول المطالعة، فقد اخترنا استعمال مصطلح "المطالعة" و ليس "القراءة"؛ علما أن العديد من الدراسات تستعمل المصطلحين للدلالة على نفس المعنى و استندنا في اختيارنا هذا إلى تقسيم رولان بارت Roland Barthes لمستويات كلمة "lecture"؛ فالمستوى الأول- الذي يعود إلى القراءة- يعبر عنه بالمستوى الادراكي الدلالي أما المستوى الثاني الذي يعبر عنه بمستوى "قراءة النص"(عبد الاله ، 2010، ص.10). فيعود على المطالعة. فالقراءة اذن هي عملية ذهنية تترجم رموز مكتوبة إلى أصوات و معان أما المطالعة فتمثل مستوى "أعلى" يحمل بعد الممارسة أكثر منه العملية الذهنية؛ ففي المطالعة نبتعد أكثر عن التعامل مع الرمز المكتوب لصالح النص المكتوب أي أن القراءة هي الكفاءة التقنية التي تسمح بممارسة المطالعة.

إضافة إلى الحذر في تعاملنا مع المصطلحين يكمن منطلقنا الآخر في اعتبار المطالعة ممارسة واسعة و متنوعة الاستعمالات خاصة بعد الثورة التكنولوجية التي أتت بحوامل مطالعة تجاوزت الكتاب الورقي، فليس كل من يمسك كتابا مطالع. و إذا قمنا بإحصاء نسبة المطالعة على أساس مطالعة الكتاب وحده سنجدها حتما ضعيفة و ربما أحسن دليل على ذلك هو مقابلة قيمت ضمن دراسة فرنسية أين صرح المبحوثون في البداية أنهم ليسوا مطالعين لكن وجدوا أنفسهم فيما بعد يعدون قائمة طويلة من الأشرطة المرسومة و الدوريات يطالعونها يوميا لكنهم ظنوا أنها ليست جديرة بالذكر(BARBIER-BOUVET, 1988). فلولا إعتماد الدراسة على المقابلة المعمقة لتوقفت عند أول إجابة و صنفت هؤلاء ضمن فئة غير المطالعين.

نود الإشارة أيضا أننا نتخذ موقفا حياديا تجاه ما يمكن تسميته "بالتراتبية الاجتماعية للممارسات الثقافية" و المتمثل في الاعتبار العلني أو الضمني لبعض الممارسات الثقافية مثل المطالعة و زيارة المتاحف على أنها أرقى اجتماعيا من ممارسات ثقافية أخرى، ففي دراسة لمركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ترتب المطالعة في المرتبة الرابعة من اهتمامات الطلبة الجزائريين بعد التلفزيون، الرياضة
و الموسيقى (MILIANI, 2016). كذلك، يبرز كل من شارتيه، بودلو و ديتراز C.Baudelot, M.Chartier و C.Detrez فقدان الكتاب «مكانته الميسورة و استقلاليته حيث أصبح يمتزج مع المسلسلات التلفزيونية و الأفلام » (SEGRE, 2001, p.152). إذن فمن الطبيعي أن تحل ممارسات أخرى محل المطالعة ليصبح الفرد يقسم وقته بينها و بين المطالعة في حين كان سابقا (قبل الانتشار الهائل لهذه الوسائط) يخصص أغلب ساعاته لممارسة المطالعة خاصة إذا كانت هذه الوسائل تلبي احتياجاته بطريقة أسرع أو أنجع من المطالعة. فالعلاقة بين نسب المطالعة و نسب الممارسات الأخرى ليست دائما عكسية كما أن ترتيب الممارسات الثقافية بما فيها المطالعة ليس بالضرورة عموديا.

من جهة أخرى، نجد اتفاق شبه عام حول تأثير المحددات السوسيوثقافية على العزوف أو الاقبال عن المطالعة؛ فلا ننفي أبدا أهميتها لكننا نتعامل معها بحذر لوجود بعض الدراسات المهمة

التي أثبتت أنها ليست دائما بالمحدد الحاسم. نذكر هنا دراسة حول ممارسات المطالعة في الأوساط "البعيدة عن المطالعة" التي وجدت أن المطالعة في الأوساط الشعبية وسيلة للهروب الذهني من الواقع (PETIT, 2004). نفهم من هنا أن الوسط الاجتماعي الهش قد يكون دافعا للمطالعة، فلا تتوقف المطالعة على محددات سوسيوثقافية تؤثر حتما على كل الأفراد بنفس الكيفية و إنما هي ممارسة حية تتغير و تنمو في سلسلة التفاعلات اليومية للفرد، فتصور الفرد لنفسه كمطالع و تصوره للمطالعة عامة مرهون بمعان تنشأ لديه و تتطور في إطار ديناميكية الحياة اليومية.

من هذا المنطلق، يحاول هذا المقال بناء مقاربة للمطالعة بمفهومها الواسع أي أننا نهتم بوجودها الفعلي في الواقع الجزائري و نعرفها اجرائيا على أنها كل اقتراب للنص المكتوب بأي وسيط و لأي غرض مهما كان، و نسجل بذلك اهتمامنا هذا ضمن البارادیغم التفاعلي الرمزي بدراستنا للعلاقة اليومية التي ينظمها الفرد مع النص المكتوب و الظروف التي تحدث فيها و ذلك من أجل تشخيص التصورات الاجتماعية المتعلقة بالمطالعة . و سنحاول تحقيق هذا الإقتراب انطلاقا من تساؤل رئيسي يبحث في فهم علاقة الفرد بالنص المكتوب:

- فما هو تصور الفرد لعلاقته مع النص المكتوب ؟ ما هي المعاني التي توجه هذه العلاقة ؟ وكيف تنشأ و تتحول هذه المعاني عبر المسار البيوغرافي للفرد ؟
- هل تتغير الممارسة الفعلية للمطالعة بتحول المعاني التي يعطيها لها الفرد عبر مساره البيوغرافي ؟ و كيف؟

1. مقابلة مع مطالعين

فرضت علينا الطبيعة الابستيمولوجية لتساؤلاتنا اتباع المنهج الكيفي بهدف الفهم العميق للواقعة محل الاهتمام من خلال استخراج المؤشرات الدالة على المعاني الذاتية المعطاة لها.

و من أجل ذلك لجأنا إلى تقنية المقابلة البؤرية الجماعية (focus group) مع أعضاء نوادي مطالعة، حيث تسمح هذه التقنية بجمع خطاب مطول يفسح المجال للتحليل العميق كما أنها تسمح باستغلال أحسن للبعد الجماعي الذي تضفيه نوادي المطالعة على ممارسة كثيرا ما يقال أنها فردية و تتطلب الوحدة. فهي «مقابلة تقام مع عدة أشخاص في نفس الوقت (...) تجند علاقة اجتماعية تتجاوز الزوج التقليدي المتمثل في الباحث و المبحوث»(DUCHESNE et HAEGEL, 2005, p.8) ، و عالجنا الخطابات المتحصل عليها عن طريق تحليل محتوى كيفي باهتمامنا بوجود أو غياب الوحدات الدالة

و كذا سياق ظهورها و ترتيبها و طريقة التعبير عنها.

تتمثل عينتنا في ناديي مطالعة جزائريين. يتكون كلاهما من حوالي 10 أعضاء. لكن هناك ثلة من "الأوفياء" مكونة من حوالي 4 أعضاء من كل نادي. و نقدمهم فيمايلي:

1.1 النادي الأول: نادي «Point de lecture» (نقطة مطالعة)

انطلق افتراضيا سنة 2012 على موقع الفايسبوك . هدفه جعل المطالعة و الأدب متوفرين للجميع بفضل نشر مقتطفات، مقولات و كتب على الصفحة. يطالع هذا النادي باللغة الفرنسية.

و قرر الخروج إلى الواقع في 2013. كانت تقام لقاءاته على مستوى قاعة في إدارة منظمة الترقية الثقافية و الفنية (OPCA) لبلدية الجزائر الوسطى ثم في الفضاء الثقافي La Baignoire و المركز الثقافي العربي بن مهيدي... أما معظم لقاءاته الدورية فهي تقام على مستوى متحف الفنون الجميلة بالحامة.

في البداية لم تكن منهجية عمله محددة بدقة؛ تمثلت فقط في تجمعات للتحدث عن الأدب عامة و مطالعات كل عضو أو تنظيم مطالعة مشتركة لمؤلف معين كما كان يتم بث أشرطة وثائقية و مناقشتها. و ابتداء من سنة 2014 أصبحت اللقاءات تدور حول مواضيع محددة و ضمن حصص منظمة تنتهي بتدوين جريدة من طرف المشرفين و متطوعين من الجمهور.

هدفه الرئيسي هو تشجيع المطالعة و النقاش عند الشباب و تشجيع المشاركين على الانتقال من مطالعين إلى منتجين .

أجرينا المقابلة مع أربعة أعضاء: أنثيين و ذكرين يتراوح سنهم بين 26 و 31 عام ، منهم مترجمين، مربية في الروضة و كاتب. كلهم عزاب و مقيمين في الجزائر العاصمة.

2.1 النادي الثاني: نادي « Bibliotopia » (بيبليوتوبيا)

تم إنشاؤه في 2016 من طرف طالبين جامعيين؛ يطالع هذا النادي باللغة العربية.

كان ينشط افتراضيا عبر صفحة فايسبوك معنونة "Bibliotopia : lire pour vivre" و حساب على موقع اليوتيوب معنون "Algerian Bookaholic"، و بعد تأسيسه إداريا أصبح ينظم لقاءات أسبوعية أو شهرية في المركز الثقافي الإسلامي بولاية بومرداس. ينقسم النادي إلى فروع متواجدة في ولايات مختلفة؛ في "مدرسة النجاح" بالبويرة فرع في ولاية البويرة، في قسم اللغة الانجليزية بجامعة ورقلة و في المركب الثقافي ببرج بوعريريج.

يتمثل نشاطه أساسا في المطالعة المشتركة بمعنى تحديد كتاب معين ثم مطالعته من طرف كل الأعضاء بصفة منعزلة و بعد ذلك تنظيم لقاء من أجل مناقشة مضمون الكتاب و ما يدور حوله.

أجرينا المقابلة مع أربعة أعضاء: أنثيين و ذكرين، يتراوح سنهم بين 20 و 22 عام، كلهم طلبة جامعيين (لغات،صيدلة، تسيير)، اثنين منهم من الجزائر العاصمة و أخريين من بومرداس و البويرة.

2. ممارسات المطالعة و تصوراتها

من أجل المعالجة الإجرائية لممارسة المطالعة بنينا نسقا من المفاهيم؛ بمعنى مجموعة مفاهيم مترابطة و متعلقة بعضها بالبعض، هذا لا يعني أنها قائمة على علاقة سببية و لكنها منظمة ضمن تركيبة مفهوماتية. فالذي يهمنا هنا هو تلك العملية المعقدة التي تجند كل هذه المفاهيم في آن

واحد و المتمثلة في: الممارسة، العلاقة، المعنى و التصور . حيث نهتم بالمطالعة التي تعتبر ممارسة مبنية على علاقة بين الفرد

و النص المكتوب تتنظم وفق تصورات تكون من جهة مؤطرة و موجهة لعلاقة الفرد مع النص المكتوب و من جهة أخرى يمكن أن تنشأ التصورات من هذه العلاقة نفسها. و عملية التصور ما هي إلا إنتاج و تنسيق معاني ذاتية.

1.2. العلاقة مع النص المكتوب

تقوم العلاقة على «تصرف مجموعة من الأشخاص في تتابع متوافق بصورة تبادلية تبعا لمعناه

و متوجه وفقا لهذا المعنى» (فيبر، 2011، ص.56). تتطلب وجود طرفين "حيين" أي فردين، و نسقط نحن هذا التعريف على العلاقة بين الفرد المطالع و النص المكتوب لأن النص المكتوب منتج من طرف فرد أو أفراد (كاتب أو كتاب) و يوجه هذا الأخير نصه إلى مطالع معين.

بعد تحليلنا للعلاقة التي يبنيها أفراد عينتنا مع النص المكتوب توصلنا إلى تصنيف تصورين مختلفين وفقا للمنظور التفاعلي الرمزي لمفهوم التصورات. حيث يقارب علم الإجتماع التصورات في اتجاهين أحدهما يقوم على الرؤية الدوركايمية التي ترى أن التصورات الجمعية خارجة عن الفرد و الرؤية الفهمية و الظاهراتية و التفاعلية للتصورات الإجتماعية التي ترى أنها بناءات معرفية ذاتية تسمح ب «إعادة بناء و إعادة صياغة المعنى»(مارشال، 2000، ص ص. 414-415) و ركزنا اهتمامنا على هذا المنظور الأخير.

و من أجل ذلك استخراجنا مجموعة من الدلائل باهتمامنا بالأفكار و الآراء المتداولة حول المطالعة، الأهداف و الأسباب الذاتية التي تدفع إلى المطالعة أو عدم المطالعة، الفوائد من المطالعة، الأحاسيس تجاه المطالعة و الطموح المتعلق بالممارسة المستقبلية للمطالعة.

1.1.2. تصور قيمي للمطالعة

وجدنا ربط مهم للمطالعة مع وعاء الكتاب على حساب الأوعية الأخرى باعتباره الأرقى ثقافيا : *"المطالعة، تمثل الكتب بالنسبة لي. و حتى كي نسأل أحد est-ce que تقرا ؟ أنا نقصد est-ce que tu bouquines ?"* (وسيم، مترجم، نادي 2). و إضافة إلى ربط المطالعة بالكتاب هناك نوع من النظرة الانتقائية للأوعية الأخرى خاصة الجريدة و المقالات الصحفية و كذلك بعض أنواع الروايات و يظهر ذلك من ناحية الترتيب باعتبارها أدنى: *"المطالعة هي من قراءة مقال صحفي يومي حتى قراءة مجلدات مثل تاريخ الطبري ..."* (لمين، طالب في الصيدلة، نادي 2)، *"الناس يطالعون نعم! لكنهم يطالعون الأشرطة المرسومة و الروايات الخفيفة (les romans de gare) الكل يطالعها، لأنها سهلة للغاية"* (دليلة، مربية في روضة، نادي 1). و من خلال إقصائها نهائيا من فعل المطالعة: "أنا لا أحب كثيرا

الجرائد، في السابق كنت أريد أن أتدرب على القراءة السريعة فكنت أقرأ كل ما أجد (tout et n'importe quoi) فمررت حتما بالجريدة من أجل ذلك" (دليلة، مربية في روضة، نادي 1).

بخصوص مضامين المطالعة، نلاحظ أن التصور منقسم إلى صنفين، صنف يتعلق بكل ما هو فكري أو علمي و صنف مرتبط بكل ما هو أدبي روائي و لكل صنف معان خاصة متعلقة به و هذا ما يعكسه خطاب المبحوثين إذ يقول أحدهم:

" أنا أصنف الرواية مع ما هو ذاتي ، و كاين أمور تخضع لمنهج العلم؛ على عكس الرواية، قادرة تعجبني أنا و شخص آخر ما تعجبوش، هي ذاتية" (لمين، طالب في الصيدلة، نادي 2)، " بالنسبة للرواية أو الكتاب؛ الكتاب يعطيك المنهج النظري أما الرواية فهي تحمل مبادئ لكنها ملموسة" (حفيظ، طالب في التسير، نادي 2).

تخبرنا تعابير المبحوثين أن فعل المطالعة متعلق بمجموعة من الأهداف و القيم و هناك ربط مهم و متكرر بين المطالعة و الحرية، المتعة، التسلية، الترويح عن النفس، الهروب من الواقع... أي كل ما قد يشير إلى الابتعاد عن الواقع المعاش و الخروج من العادة و المعتاد. يقول أحد المبحوثين: "تمضين بها وقتك دون الإحساس بالملل و تريدين المواصلة... تستفادي بحاجات جدد " (رتيبة، طالبة في التسيير، نادي2)، " المطالعة تسمحلي بالخروج من الواقع؛ ليس تهربا من الواقع لكن لعيش حياة أخرى" (سمية، طالبة في اللغة، نادي 2)...

فعل المطالعة هو أيضا وسيلة لتحقيق نوع من الاستقلالية و إمكانية الاختراق و التخلص من السلطة سواء كانت حقيقية ملموسة أم رمزية إلى غاية أننا نشعر بنوع من التمرد في بعض العبارات: "المطالعة بالنسبة إلي هي الحرية، المطالع يقرا واش يحب!... حتى الكتب الممنوعة من النشر يقدر يقراها !" (سمية، طالبة في اللغة، نادي 2).

تعتبر المطالعة في المتن المكان الذي تلتقي فيه المتعة و الاسترخاء مع التعلم، أي أنه تعلم حر و ممتع و فيه فائدة في نفس الوقت: "المطالعة هي أنك تكتسب معلومات، تكتسب ثقافة بطريقة ممتعة

و سهلة، منها راك تمتع في روحك، تجوز في الوقت تاعك و في نفس الوقت تستفيد، تزيد تتعلم أشياء" (حفيظ، طالب في التسيير، نادي 2)، و كثيرا ما يقابل المبحوثون هذا التعلم الممتع و المفيد مع التعلم الذي توفره المدرسة و الذي يرونه كمصدر للملل : "كاين بزاف يكتشفوا المطالعة في المدرسة و يشوفوها بذلك كنشاط ممل و مكروه ... مثلها مثل درس رياضيات ممل" (دليلة، مربية في روضة، نادي 1)، "المنظومة التربوية تجبرنا على المطالعة. مارانيش نقول أن هذه المطالعات ليست مهمة. أنا مثلا قريت تخصص الترجمة و كنتنطالع بزاف حول اللسانيات و مادرت بها والو في حياتي... كانت دراسات في تخصصي، فكنت مجبرة باش نقراها، ماخيرتهاش و مانحبهاش ... أنا نحب نطالع حاجات وحدوخرين !" (أمينة، مترجمة، ن1).

ما يثير الإنتباه من خلال ماقيل هو عدم وجود الإرتباط بين المطالعة و المدرسة كما قد نتوقع حيث تصبح المطالعة تعلما نقيضا للتعلم المدرسي بسبب الملل و الاكراه، في نظر المبحوثين، لذلك يبحثون عن تعويض من خلال المطالعة.

لكن، إذا كان هناك ما يضفي طابع الاجبارية و الملل على التعلم المدرسي بمقابل المطالعة التي تمثل متعة، تسلية و حرية... فهناك من يربط مع المطالعة علاقة جدلية أطلقنا عليها "تصور المطالعة كمتعة إجبارية". حيث وجدنا علاقة وطيدة بين المتعة و الإجبار في حديث بعض المبحوثين؛ فهم يصفون المطالعة على أنها متعة و ترويح عن النفس سواء متعة الفعل في حد ذاته أو متعة التعلم أو متعة شعور المطالع بأنه مثقف ... لكن في نفس الوقت يجبرون أنفسهم على الإحساس بهذه المتعة و يتمثل هذا الإجبار في تحديد برنامج صارم و دقيق للمطالعة يجبر المبحوث نفسه على متابعته يوميا. فنشعر في حديث أمينة (مترجمة، ن 1) على سبيل المثال أنها تعاني من هذه الوضعية المؤلمة و المتمثلة –في نظرها- في المطالعة القليلة:

" حبيت يكون عندي وقت أكثر للمطالعة. كل يوم راني نكرط الوقت باش نقرا، لأنه لولا ذلك نصيب روحي نطالع شوية أومبعد نحبس لمدة أسبوعين أومبعد نرجع ليها و نصيب روحي نسيت البداية و نعاود نقراه من جديد. طموحي هو تخصيص وقت أكبر للمطالعة و حتى كي نطالع كتاب نتمنى عدم تأنيب ضميري كي مانقدرش نكملو و نحبسو بصفة عادية و طبيعية... خلاص ماعجبنيش نحبس و خلاص ! كاين كتب مازالت في القجر ديالي و نقول دائما لازم نقراها نحاول مقاومة نفسيباش نقراها... و هذا سيء ! إذا حطيت الكتاب de côté معنتها مايهمنيش ولا مارانيش مستعدة لمطالعته و مافيها والو من المفروض. كاين كتب يهدرو عليها و تشعرين بالضغط النفسيشغل يجبروك باش تقرايها. سواء الناس أو الإشهار".

2.1.2. تصور براغماتي للمطالعة

في مقابل التصور السابق، هناك نظرة براغماتية تربط الشخص المطالع بأسلوب حياة بمعنى إستغلال مضمون المطالعة في الحياة اليومية: " المطالع الحقيقي هو الذي يستفيد من مطالعاته في حياته اليومية، أن يطبق ما يطالعه. كي نشوف واحد مطالع و مثقف لكن لا يطبق عنده مجرد فكر فقط ..." (حفيظ، طالب في التسيير، نادي 2)...

و الجدير بالذكر هو التطابق الذي توصلنا إليه بين تصور معين للمطالعة و وتيرة أو نوعية الممارسة الفعلية لها. حيث ركزنا اهتمامنا على ممارسة المطالعة في كل أحوالها سواء كانت دائمة، منتظمة، متذبذبة، متقطعة، نادرة أو حتى ماضية و تم التوقف عنها.

و ذلك بعد اعتمادنا على تعريف الممارسة الذي يقول أنها «سلوك أو فعل اجتماعي يأخذ طابعا معتادا و متكررا» (AKOUN et ANSART, 1999, p.416)، فالعادة و التكرار لا تعني بالضرورة الانتظام

و الاستمرارية ؛ فحتى التقطع و عدم الإنتظام في الممارسة و التوقف المؤقت أو النهائي عنها يثري المعرفة حولها، و إذا ركزنا على التعاطي المنتظم أو الجد متكرر لممارسة ما نكون قد درسنا جانبا منها فقط.

فلاحظنا من خلال مقابلاتنا اختلاف واضح بين الممارسات الفعلية باختلاف التصورات حول فعل المطالعة، و وجدنا أن الذين لهم ممارسة دائمة و مستمرة للمطالعة ينظمون معها علاقة عفوية و مسترخية (rapport décontracté) و يمكن تصنيف تصورهم ضمن النوع الثاني أي التصور البراغماتي؛ يظهر ذلك في كونهم عاجزين عن التعبير عن المطالعة كممارسة منعزلة عن الممارسات الأخرى أو المعاش عامة؛ فلما نسألهم عن المطالعة يجيبون بوضعها في سياق الحياة اليومية و يضطرون للمرور عن التحدث حول هذا الأخير من أجل التمكن من شرح تصورهم فيما يخص المطالعة على عكس أولئك الذين يمارسونها بصفة متقطعة أو متذبذبة أو نادرة فيظهر حديثهم قدرة على عزل فعل المطالعة

و التحدث عنه بانفصال عن المعاش اليومي و حتى بتقديسه مقارنة بالممارسات الأخرى. فنجد مثلا جمال (كاتب، ن1) الذي سبق و أن صرح بمطالعته الدائمة يعطي للمطالعة معنى متلاحم مع ماهية الحياة اليومية و حتى الحياة في حد ذاتها:

"أعتبر أن المطالع كفئة منعزلة لا وجود له. لما نتحدث عن المطالعة نتحدث عن الموضوع (objet) و لما نتحدث عن المطالع نتحدث عن الذات (sujet) و الذات هي الإنسان و الإنسان كامل (total) و إذا اعتبرنا المطالع أنه منفصل عن الإنسان هذا اغتراب (aliénation)...كل النشاطات الجوهرية بالنسبة للإنسان، إذا حاولنا فصلها عن الإنسان و اعتبارها فئات منفصلة تصبح بالنسبة لي فئات اغترابية. المطالع هو الإنسان و هو في نفس الوقت الموظف، العامل، المفكر و غيرهم... و إذا بدأنا نبحث عن جزء من الإنسان كوحدة متخصصة معزولة و منفصلة عنه نحن داخل الاغتراب... فليس هناك مطالع، هناك إنسان". فبالرغم تدخل هنا عامل العلاقة مع الباحث أثناء إجراء المقابلة و التي لا تنقص أهمية من منظور التفاعلية الرمزية باعتبارها هي الأخرى علاقة اجتماعية تحمل دلالات حيث يتضح لنا هنا محاولة ابهار الباحث باستعراض المرجعيات الماركسية بعد العلم بنوعية تخصص الباحث إلا أننا احتفظنا بهذا الخطاب كبرهان لشهادة الزملاء على المبحوث أنه "يقرأ كما يتنفس" (حسب تعبيرهم).

في نفس الصنف لكن بطريقة أخرى مخالفة تماما، يرفض لمين (طالب في الصيدلة، ن2) فصل المطالعة و التحدث عنها كموضوع منفصل، كما أنه لا يلح على تبيان أنه يطالع كثيرا و هذا ما يشير إلى أنه لا يهتم بتقديم صفة المطالع عن نفسه أي أنه لا يربط حتما قيم إيجابية مع فعل المطالعة، فهو يتحدث عنها كوسيلة مثلها مثل أي وسيلة أخرى: "المطالعة شيء واحد. المطالعة لا أفصلها عن الباقي هي ثقافة، هي حياة... المطالعة هي وسيلة فقط مثلها مثل مشاهدة شريط وثائقي فهذا الأخير ربما له مزايا لا تقدمها المطالعة... و حتى الرواية نجدها على شكل فيلم كذلك".

بالمقابل نجد سمية (طالبة في اللغة، ن 2) التي سبق و أن حدثتنا على علاقتها المتقطعة مع المطالعة تتحدث عنها كأمر مقدس و نبيل لا بد منه: " المطالع هو الذي يقرأ باستمرارية؛ يعني يداوم. كل يوم عنده عدد معين من الصفحات يقرأها...أنا سطرت برنامج و لكل يوم هدف متمثل في الكمية التي يجب أن أطالعها و أنظم وقتي تبعا للدراسة و الانشغالات اليومية لكن وقت المطالعة مقدس. المطالعة لها وقتها.هذا النظام يسمح لي باكتساب عادة للمطالعة". و كذلك دليلة (مربية في روضة، ن 1) التي تتأسف حول وتيرة مطالعتها:

"عندي عدة انشغالات تمنعني من المطالعة فتصل نهاية النهار و أكون متعبة جدا فأنام. لم أطالع شيء منذ شهر و أشعر أنني لست مثقفة لأنه هناك مطالعات كثيرة يجب أن أقوم بها و لم أفعل . يجب أن أتفطن و أعود إلى المطالعة".

نتوصل اذن إلى ربط الممارسة الفعلية الدائمة و المستمرة للمطالعة مع تصور براغماتي يرى في المطالعة جزء من الحياة مثلها مثل أي شيء آخر في علاقة طبيعية مسترخية معها، كما نربط الممارسة الفعلية القليلة، المتذبذبة، المتقطعة للمطالعة مع تصور قيمي تقديسي و علاقة الزامية قائمة على الضغط الاجتماعي.

2.2.أنا أطالع اذن أنا موجود

و إذا كانت الخطابات تتضارب بين تصور قيمي و تصور براغماتي فقد بينت كل الشهادات دون استثناء أن المطالع يبحث عن تعريف

و تحديد لذاته عبر المطالعة و اكتشاف نفسه باستمرار: " أطالع لأنني أبحث عن أجوبة، أريد معرفة آراء الآخرين و أفكارهم لأن ذلك سيؤثر على طريقة تفكيري" (أمينة، مترجمة، نادي 1)، " الإنسان الذي يطالع دائما يخرج من اليقين الذي يؤدي إلى التعصب؛ فالمطالعة تمدلك فلسفة اللايقين التي تجعلك تميل إلى تطوير نفسك" (لمين، طالب في الصيدلة، نادي 2).

هناك تعاريف أخرى للمطالعة على أساس أنها علاقة مع الآخر و هناك محاولة إبراز و إثبات الذات من خلال تعريف الآخر؛ أي أن الفرد يبحث عن تحديد ذاته عن طريق مقارنة نفسه كمطالع مع الآخر سواء عبر التفرقة بينهما أو على عكس ذلك تسطير نقاط التشابه بينهما، و لذلك تمكنا من الحصول على تصور الفرد لنفسه كمطالع بفضل تعبيره عن الآخرين أي كل من يصنفهم على أساس أنهم مختلفين عنه أو يشبهونه سواء من ناحية المبادئ أو من ناحية الممارسة الفعلية و هذا الآخر قد يكون الكاتب نفسه: " يقول La Bruyère عادة ما نعجب بمن نوافق، وكي يشرح كاتب معين بطريقة علمية ولا شعرية حدسنا الخاص on tombe amoureux. و عادة notre auteur préféré هو اللي

يعكس الفكر العميق ديالنا"(جمال، كاتب، نادي 1) . كما قد يكون الآخر هو المطالعون الآخرون أو غير المطالعين: " التصورات التي لا أتفق معها تعطيني فرصة لنقدها و بذلك التعرف أكثر على منظوري الخاص فهذا يدفعك إلى مراجعة باراديغماتك، إلى إعادة النظر و التساؤل حول يقينك و الخروج من راحة اليقين" (جمال، كاتب، نادي 1)، "صديقاتي و بنات من العائلة... لما يروني ماسكة كتاب يشعرون أنني منعزلة و لا أحب التحدث معهم و البقاء لوحدي ... لكن أنا لا، أريد فقط المطالعة !" (سمية، طالبة في اللغة، ن 2). نلاحظ هنا أهمية نظرة الآخر و تأثيرها على المبحوثة التي تجد نفسها متهمة بالتكبر فقط لأنها تطالع. نجد كذلك هذا العنصر لكن بصفة مختلفة عند حفيظ (طالب في التسيير، ن 2) و رتيبة (طالبة في التسيير، ن 2) فيما يخص نظرة أفراد العائلة الغير مطالعين إليهما كمطالعين: " لما يروني ماسك كتابا في المنزل يقولون أنني طُبت بجنون، قالوهالي بزاف خاصة أمي ".

إذا كانت هذه الأقوال تدل على شيء فهو أولا و قبل كل شيء أن الإقبال على المطالعة ليس بالضرورة مرتبط بالرأسمال الثقافي و أن اثبات الذات لا يمر حتما عبر الهوية العائلية و إنما قد يكون على عكس ذلك مبني على الخروج أو الابتعاد عن هذه الهوية.

و يظهر كذلك بروز الذات في المعارضة الآلية أو الحذر تجاه المقروء خوفا من زعزعة الاستقرار الهوياتي: " إذا تتأثر بأي كاتب تقرأه و تتبنى أفكاره بسهولة يعني راك رايح للهاوية .لازم تكون عندك خلفية حول ما تطالعه. فهناك كتب قوية و إن لم تكن لك عقيدة صحيحة ستخاطر... الريح اللي جا يديك"(حفيظ، طالب في التسيير، نادي 2).

و يكون تحديد الذات كذلك عبر العلاقة مع العالم أي التمركز النفسي وسط العالم: "اقامة مقابلة بين منظوري للعالم و منظور المؤلفين الذين أقرأ لهم ... للبحث عن منظور آخر للعالم و مقارنته بمنظوري" (جمال، كاتب، نادي 1)، "أطالع لأن العالم كبير و البقاء في جامعتي أو الحي الذي أسكن فيه لا يكفي... و حتى من الناحية المهنية، أطالع للتقدم ، لمعرفة أين وصل العالم، معرفة الدراسات الجديدة، الاكتشافات الجديدة..."(أمينة، مترجمة، نادي 1) و يظهر ذلك من خلال البحث عن الهوية عبر المطالعة حيث أن المبحوثين من الفوجين المختلفين يتكلمون عن أهمية مطالعة التاريخ و مطالعة المؤلفات الجزائرية من أجل فهم أنفسهم و معرفة أصولهم: "أهتم بالتاريخ ... إذا لا أطلع حول ما حدث من قبل، إذا لا أطالع ما كتبوا حول التاريخ لا يمكنني التقدم، لأن سيكون لي منظور محدود للعالم" (أمينة، مترجمة، نادي 1)، " الإنسان باش يسمي روحو مثقف لازم يكون عندو إطلاع على ثقافتين: الثقافة السائدة عالميا في زمنه يعني الثقافة الغربية حاليا و الثقافة التي ولد و ترعرع فيها

يعني الثقافة العربية الإسلامية و من بعد إذا حب يطلع على الثقافة الهندية وعلاش لا لا ! " (لمين، طالب في الصيدلة، نادي2)، "هناك كتاب جزائريين فرانكوفونيين يجب مطالعتهم ! فبدأت أشعر بفضول تجاههم لأنهم في مجتمعنا و هم أجدر بالإجابة على تساؤلاتي" (أمينة، مترجمة، نادي 1).

فيبحث المطالع عن تعريف و اثبات ذاته عبر المطالعة؛ و يكون ذلك عن طريق: استعمال المطالعة كوسيلة لاكتشاف نفسه كشخص أو حتى اكتشاف هويته الثقافية التي تمثل جزء من ذاته من خلال بناء علاقة مع النص المكتوب تترجم علاقة مع اللآخر و/أو علاقة مع العالم و هذا مايتوافق مع تعريف للتصورات الاجتماعية على أنها أنساق تأويلية مؤطرة للعلاقة مع العالم و مع الآخر(Jodelet, 2003).

3. نشأة و تحول معاني المطالعة

مفهوم المعنى ذا أهمية استراتيجية في نسقنا المفاهيمي؛ فهو المحور الذي تتنظم حوله المفاهيم الأخرى، و المبادئ الثلاثة المشهورة للتفاعلية الرمزية (POUPART, 2011, p. 187) المتمثلة فيما يلي تؤكد لنا ضرورة اللجوء إلى مفهوم المعنى في هذا النوع من المقاربات، حيث:

1- تتوقف تصرفات الانسان تجاه الأشياء على المعنى الذي يعطيه لتلك الأشياء.
2- المعاني هي نتاج التفاعلات الاجتماعية؛ فالفاعلون يكتشفون و يتفاوضون و ينتجون معانيهم انطلاقا من العلاقة مع الآخر.
3- تتغير المعاني و تبنى عبر العمليات التأويلية المجندة في الوضعيات الواقعية.

وعليه، يمكن اعتبار المعنى السبب الدلالي لسلوك الفرد، لكنه ليس سببا موضوعيا و إنما ذا محتوى ذاتي ينتج عن تأويل الواقع الاجتماعي و الخروج بآراء و معتقدات .

و من أجل معالجة المعنى إجرائيا –حسب فيبر- يجب ربط الدوافع المصرح بها من طرف الفرد مع التصرفات الفعلية لكن « لا يتوافق بالضرورة المعنى الموجه للسلوك مع الدوافع المصرح بها ويعود هذا التناقض بين النية و الفعل إلى محيط التفاعل الإجتماعي حيث أن التبادل المستمر بين الفاعلين قد يحدث تغييرا في المعنى الأول» (GONTHIER, 2004, pp.47-48) لذلك نهتم كذلك بالبعد التفاعلي للمعنى أي تأثير التفاعلات اليومية على تحول محتوى المعنى الذي ينتجه الفرد حول الواقع الاجتماعي.

لقد حاولنا الكشف عن ظروف نشأة المعاني حول المطالعة و كذا تحولها عبر المسار الشخصي لكل مبحوث عن طريق دفع المبحوثين إلى التحدث عن أول مطالعة يتذكرونها، أول تعامل مع نص مكتوب، تغير الآراء تجاه المطالعة، تغير عادة المطالعة و كل ما يدور حول هذه الأمور الملموسة من أحداث بيوغرافية أو علاقات شخصية و غير ذلك.

1.3. نشأة المعاني

تشير طريقة التعبير على أول مطالعة إلى المعنى العميق الذي يعطيه المبحوثون للمطالعة؛ فهناك من يتحدث عن أول مطالعة بالرجوع الآلي إلى علاقة معينة، لكن لما نتحدث عن التفاعل لا نقصد بالضرورة العلاقة وجها لوجه بين شخصين و إنما التأثر و التأثير أينما كانا و حيثما ظهرا. و قد تحصلنا على معطيات تبدو في الوهلة الأولى أنها تدل على دور المؤسسة المدرسية أو الأسرية في بناء المعاني لكننا بعد التعمق في الشهادات لاحظنا أن المبحوثين لا يتكلمون عن الأسرة كمؤسسة و إنما عن علاقة سواء مباشرة أو رمزية مع الأب أو مع الأم و لا يتحدثون عن المدرسة و إنما عن المعلمين كأشخاص و هذا ما يتوافق تماما مع ماتوصلت اليه دراسة حول تاريخ المطالعين (MAUGER et POLIAK 1998) . و من أجل تبيان ذلك نعرض بعض المقتطفات الدالة: "*في ذكرياتي دايمن قاموس بين يدين والدي ولا كتاب ولا يلعبو les mots croisés...*" (أمينة، مترجمة، ن 1). نجد هنا ذاكرة مليئة بصور لأفراد من الأسرة يطالعون و التعبير عنهم كأشخاص، نفس العنصر وجدناه في شهادات أخرى مثل: " *الأب هو اللي جعلني نحب المطالعة؛ كنت ناخذ روايات من مكتبته... وكلما نخرج معه نرجع دايمن للدار بقصة أو مجلة يشتريهالي*" (سمية، طالبة في اللغة، ن 2).

" *مانتذكرش واش جعلني نطالع. في دارنا مكتبة لكن لا أظن أنها المسؤولة عن ذلك... هكذا و حدي، واحد النهار صبت كتاب في الدار و احكمتو ... هناك أشخاص ينصحونني بعض الأحيان بمطالعة كتاب معين أساسا الأب وأصحابي ...* " (وسيم، مترجم، ن 1).

"*روايتي الأولى لي بديت بها وجهتني إليها صديقتي، وكان ذلك في السنة الماضية هيه ؛ أنا جديدة في المطالعة!... لعمي مكتبة فيها كتب أغلبها فكرية، أحاول مطالعتها لكن أمل من تلك الكتب*" (رتيبة، طالبة في التسيير، ن 2).

يشير جمال (كاتب، ن 1) كذلك إلى دور الأب و ردة فعل المعلمات فيما يلي: "*كل الفضل يعود إلى أبي الله يرحمو، علمني القراءة قبل دخولي إلى المدرسة وكي تعلمتها رجع يشتري لي قصص أطفال و كتب تتماشى مع سني في كل مرحلة... فلولا أبي، ربما نكون مطالعا أكيد بالصح ماشي بهذه الصفة المبكرة*

و لوكان ماشي هو مانكتسبش هذه السهولة في التعامل مع المكتوب... كي دخلت للمدرسة كنت نتقن القراءة باللغتين و بالاك ابتهاج المعلمات هو اللي شجعني باش نقرا أكثر،بالاك كنت نقول في قلبي: أه ما دامت القراءة شيء يبهر العالم

و يميزني عن الآخرين فهو شيء رائع". نلاحظ هنا أولا تقديرا و عرفانا لدور الأب و العلاقة المبنية معه التي أصبح بفضلها هذا المبحوث يطالع بسهولة، فهو يقول أن لولا وجود أباه لما كان مطالعا "بهذه السهولة" لكنه يكون "مطالعا بالتأكيد"، و هذا ربما إشارة إلى المحيط المثقف الذي ترعرع فيه و الذي يجعل منه مطالعا لا محال لكن الأهم بالنسبة إليه هو هذا الأب الذي "يعود له الفضل" في توجهه. و ثانيا نجد العلاقة مع المعلمات اللواتي كن جد معجبات بهذا الطفل الصغير المحب للقراءة، فدور

المعلمات هنا –باعتبارهن مفوضات مدرسيات- لا يظهر عبر الإرشاد التربوي و التعليم كما قد نتوقعه و إنما في الابتهاج
و الإعجاب الذي جعله يشعر أنه مميز.

2.3. تحول المعاني

لما نريد تحديد تحول المعاني المعطاة للمطالعة أنجع وسيلة هي رسم المسارات الفردية التي تعرض مخطط تغير المعاني و الممارسات المتعلقة بالمطالعة و النقلات البيوغرافية المسؤولة عن هذا التحول في تصور المبحوث، و المقصود بالنقلة البيوغرافية هو نقطة انتقال الفرد عبر حياته من منظور إلى آخر أو من مبدأ إلى آخر و غير ذلك. ففي البداية أردنا رسم هذه المسارات بالموازاة مع المراحل العمرية لكننا فيما بعد وجدنا أنها فارغة من ناحية المعنى و الأهم هو الحدث البيوغرافي الحاسم في وقوع التحول سواء كان هذا الحدث يشير إلى انتقال بيولوجي-اجتماعي (مرحلة عمرية) أو يدل على تفاعل مؤثر ...الخ

- مسارات مطالعة:

شكل 1. مسار جمال(كاتب، نادي 1):

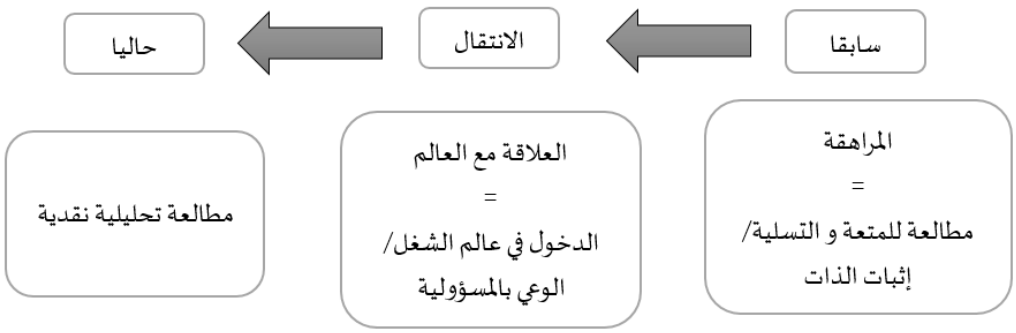

"في البداية كنت نشوف المطالعة كتسلية، متعة شخصية برك... كي تطالعي و أنت في الثانوي تحوسي على تصور لنفسك، تحوسي على تكوين شخصية معينة باش تعجبي الناس... كي تدخلي لعالم الشغل تفهمي أنك فاعلة رجعت علاقتي أكثر نقدية، أصبحت مانترددش في مقابلة تصوراتي مع تصورات الكاتب... مطالعة تحليلية أكثر فهنا تشرعين في الفهم و الاهتمام بالتاريخ و علم الاجتماع و الفلسفة".

الشكل 2.مسار دليلة (مربية في روضة، النادي 1):

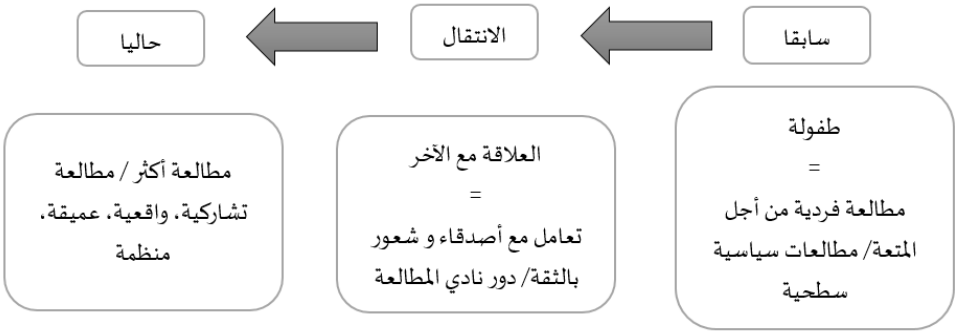

" كنت نطالع لنفسي من بعد رجعت نميل للمشاركة... أصبحت نحب مشاركة مطالعاتي مع صحابي... كنت صغيرة كنت أطالع فقط من أجل المتعة، كنت أحب مطالعة القصص الجميلة إلا أنه فيما بعد نتطور لتصبح مطالعاتنا واقعية أكثر ... فبدأت أطالع في السياسة لكن كانت مؤلفات ديماغوجية أكثر من شيء آخر... ثم تعرفت على أشخاص و اكتشفت أشياء أحسن و أعمق... و لذلك أصبحت أطالع الكثير للكتاب الجزائريين أكثر من الأجانب لأنهم يتكلمون عن واقعي".

"من خلال نشاطات النادي، لما أحضر موضوع يجب أن أطالع الكثير حوله للتمكن من الإجابة على الأسئلة... وفر لي منهجية للتفكير... صراحة شعرت بالتطور من ناحية التركيز و أصبحت أخصص وقت أكثر للمطالعة".

الشكل 3. مسار أمينة (مترجمة، النادي 1):

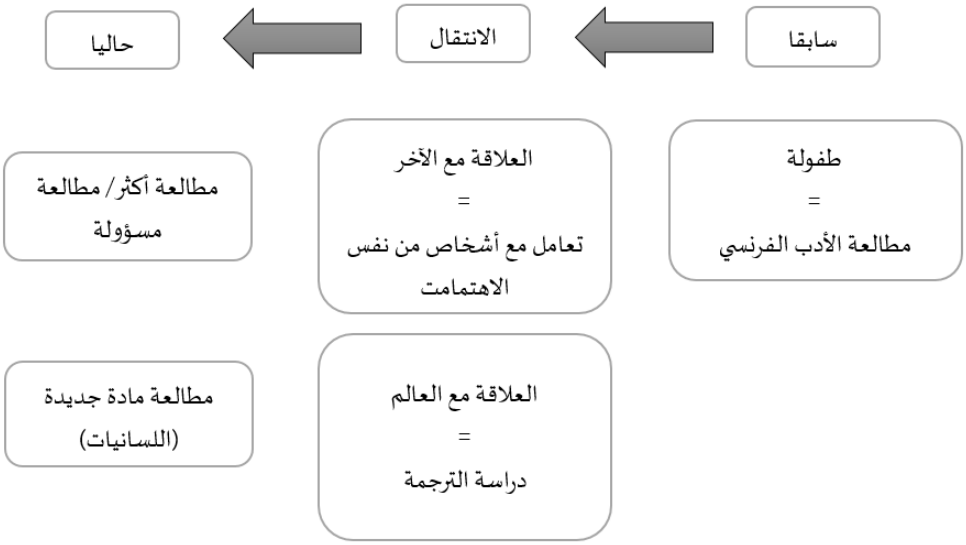

"بدأت المطالعة و أنا صغيرة، الحمد لله كبرت في منزل به الكثير من الكتب ... لكن، توقفت عن المطالعة لمدة سنوات لا يمكنني أن أشرح السبب ... في الأول كنت أطالع الأدب الفرنسي فقط ... ثم قلت: لا هناك كتاب جزائريين فرانكوفونيين يجب مطالعتهم فبدأت أشعر بفضول تجاههم ...فيما يخص الفضول العلمي و المسؤولية هي راجعة إلى الأشخاص الذين تعرفت عليهم ،أصبحت أتعامل مع أشخاص لهم نفس الاهتمامات و أظن أنهم أثروا ايجابية ... لأنني أصبحت أطالع أكثر و بطريقة نقدية و توجيهية"، " درست الترجمة و كنت أطالع كثيرا حول اللسانيات و لم أفعل شيء بذلك في حياتي ... اليوم إذا أجد مقال في اللسانيات سآخذه و سأطالعه و أفهمه جيدا. لكن إذا لم أكن درستها لن آخذ أبدا مقالا في اللسانيات لقراءته".

الشكل4. مسار رتيبة (طالبة في التسيير، النادي 2):

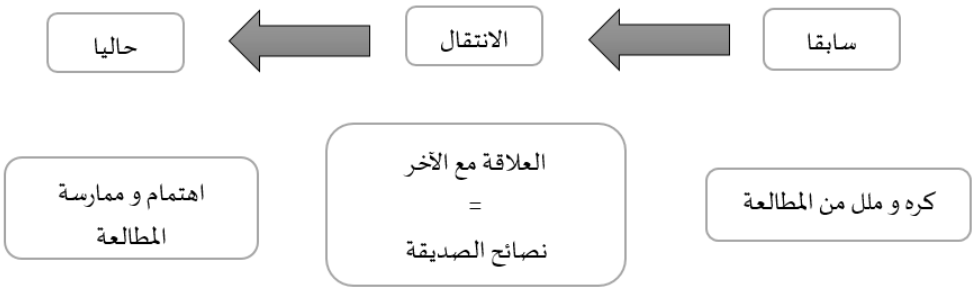

" تغير كثيرا منظوري، كنت أرى أن المطالعة شيء ممل كثيرا ... ما نحبش نقعد مع كتاب و نقرا فيه... حتى طالعت رواية، روايتي الأولى التي بدأت بها وجهتني اليها صديقتي... و منذ ذلك الوقت أصبحت أبحث باستمرار عن أشياء جديدة لأطالعها".

الشكل5. مسار سمية (طالبة في اللغة، النادي 2):

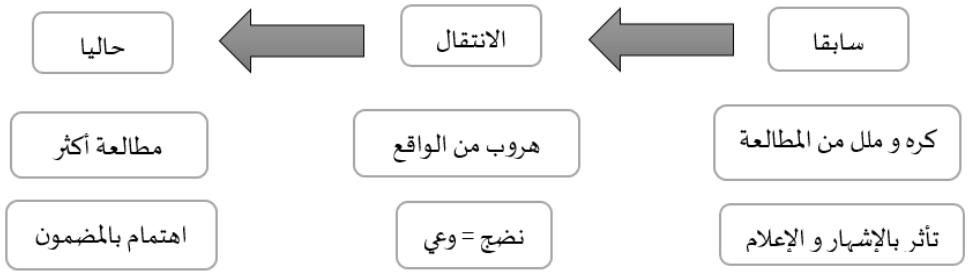

" ابتعدت عن المطالعة كليا أصبحت تبدولي دون أهمية، كنت أكرهها كانت تظهر لي مملة، أبي يشجعني دائما عن المطالعة و أنا كنت أراها مملة و في السنة التي اجتزت فيها امتحان الباكالوريا قرأت رواية

بالانجليزية و مثلت رجوعي إلى المطالعة، فكانت عبارة عن تهرب من المراجعة... فمنذ تلك التجربة أصبحت أطالع دون توقف".

" كنت أزور مجموعات الفايسبوك و أبحث عن الكتاب الذي يعمل ضجة و أقتنيه كي أطالعه... ثم فهمت مع مرور الزمن أن الكتب التي تعمل ضجة كبيرة هي كتب تسويقية فقط، هي كتب تجارية و تجدين مثلا أن الشخص الذي تتبعينه على مواقع التواصل يضع ملخص... فأقرأ الملخص و إذا أعجبني أقرأ الكتاب. لكن الآن أختار كتبي من هذا الموقع فقط".

الشكل 6. مسار لمين (طالب في الصيدلة، النادي 2):

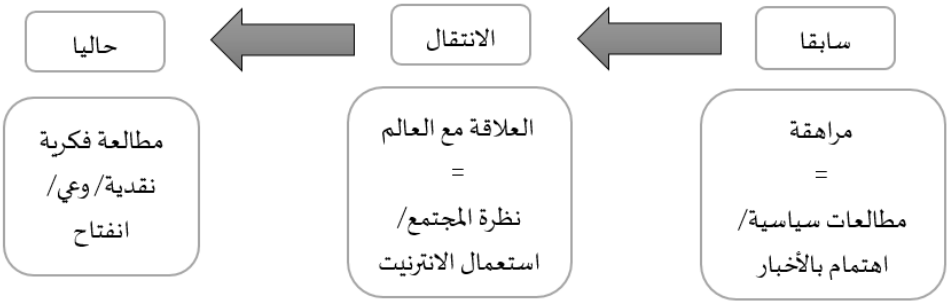

" في الثانوي كنت مهتم بالأمور اليومية السياسية على عكس الآن... الإنسان يتأثر و لو بدرجة قليلة لأنه جزء من المجتمع... فتغيرت خصوصا في السنتين الأخيرتين أصبحت أطالع مؤلفات فكرية و أهتم بفهم المجتمع... الأمر الذي جعلني أميل إلى هذا النوع هو تأملي للواقع ، عندنا نوع من الانغلاق حول أفكار معينة ... أريد تكوين وعي و روح نقدية للأفكار...منذ أن دخلت الانترنيت من 2009 كنت من المدمنين للانترنيت همهم أبحث و أحب معرفة الآراء المختلفة ".

نلاحظ من خلال العرض السابق للمسارات الفردية للمطالعة أن التفاعل هو الذي يجعل الفرد يغير منظوره و المعاني التي يربطها بالمطالعة، و لاحظنا أن هذا التفاعل غالبا ما يكون سبب أو فرصة لتحديد الذات المطالِعة؛ حيث أن الفرد يكتشف ميوله الخاص أو يتأثر و يمتص ميول الآخر، فكل الأحداث البيوغرافية التي أحدثت نقلة معينة تمكنا من ترجمتها إلى علاقة مع العالم أو علاقة مع الآخر. العالم قد يكون العالم بمفهومه اللغوي، و هذا ما يظهر عند المبحوث الذي يتكلم عن الانترنيت الذي فتح منظوره على العالم ، أو قد يكون المجتمع الخاص بالفرد أو التخصص الدراسي أو الالتحاق بمنصب شغل و كل ما يعنيه من استقلالية و مسؤولية بالنسبة للفرد. و الآخر قد يكون صديقا أو زميلا أو أعضاء نادي المطالعة ، و هذا الآخر في تشابهه مع الفرد قد يساعده على اكتشاف ميوله العميق الذي لم يكن يعرفه من قبل أي أن هذه العلاقة تسمح بمعرفة الشخص لنفسه؛ فالآخر هو أنا في بعض الأحيان و قد أبحث عن ذاتي في الآخر. فكل هذه العوامل تساهم في تحول المعاني و التصورات حول المطالعة.

من جهة أخرى، نلاحظ أن الممارسة الفعلية تتغير بفعل تحول التصورات حول المطالعة؛ فيكون إما التوجه إلى نوع آخر من مواد المطالعة (من الأخبار إلى الكتب السياسية، من الأدب الفرنسي إلى الرواية الجزائرية ...)، أو تغير كيفية المطالعة (من مطالعة سطحية للتسلية إلى مطالعة تحليلية عميقة، من مطالعة عشوائية إلى مطالعة منظمة و موجهة، من مطالعة فردية إلى مطالعة جماعية...)، أو تغير وتيرة المطالعة (من عدم المطالعة إلى المطالعة، من مطالعة قليلة و متقطعة إلى مطالعة كثيفة و مستمرة...)، تغير معايير الاختيار و طرق الاقتناء (من الاهتمام بالإشهار و السمعة إلى الاهتمام بالمضمون...).

خاتمة

إن المعاني المعطاة للمطالعة غالبا ما تكون جد مرتبطة مع كيفية الممارسة؛ فالممارسة النادرة أو المتقطعة تتماشى مع تقديس فعل المطالعة في حد ذاتها عبر تصور يربطها مع وعاء الكتاب باعتباره وسيط يرمز إلى العلم و الفكر و ذلك على حساب الأوعية الأخرى التي ينظر إليها على أنها أدنى، فرغم انتماء أفراد عينتنا إلى فئة الشباب و بالتالي عيشهم في محيط تنوع وسائط المطالعة فيه إلا أن رمزية الكتاب ما زالت موجودة.

بالمقابل، ترتبط الممارسة الدائمة و المستمرة للمطالعة مع تصور للمطالعة كجزء لا يتجزأ من الحياة و من الإنسان و عدم تقديسها كممارسة في حد ذاتها أو ملاحظتها كممارسة نبيلة و إنما اعتبارها كوسيلة فقط لبلوغ غايات مختلفة.

كما تظهر المطالعة كوسيلة لتحديد الذات عبر اكتشاف و إثبات الفرد لنفسه أو البحث عن إبراز هويته، حيث تتمثل المطالعة في علاقة مع الآخر، الذي قد يكون الكاتب أو الولي أو الصديق، سواء عبر النظرة إلى الآخر التي تسمح بالمقارنة أو نظرة الآخر التي تجعل الفرد يتساءل حول نفسه. كما تتمثل في علاقة مع العالم الذي قد يكون المجتمع بمفهومه الواسع و الضيق و يمكن أن ندرج هنا النظرة إلى المطالعة كهروب من الواقع أو تصورها على أنها رمز للحرية و كل ما يمثله ذلك من ابتعاد عن الاكراهات الاجتماعية و البحث عن الاختلاف و الخروج من المثل الاجتماعية الملزمة، حيث نجد كذلك أن المطالعة أداة لكسر القوالب بإسنادها في نفس الوقت إلى المتعة و الإجبار و كذلك التعلم و التسلية في آن واحد.

تبين لنا كذلك أن نشأة المعاني حول المطالعة ترمز إلى الدخول في عالم الكبار أي الانتقال في المرحلة العمرية و كذلك الدخول في ثقافة رمزية، كما أن التفاعل بكل أنواعه عامل مهم في نشأة المعاني الموجهة للعلاقة مع النص المكتوب، حيث نتحدث عن تحول المعاني نجد أننا في نفس "خانة" النشأة لأن تحول المعنى ما هو إلا ظهور معنى جديد سواء كان يحمل بقايا المعنى القديم أو أنه تحول جذري،

و عليه، فالتحول هو الآخر متعلق بالتفاعل بمفهومه الواسع و يشير مرة أخرى إلى دور العلاقة مع العالم و مع الآخر في الانتقال من تصور إلى تصور جديد.

و إذا كانت لهذا البحث فائدة فهي دون شك المساهمة المتواضعة في تجاوز المنهجيات التقليدية في التعامل مع ممارسة غير قابلة للتصنيف الآلي، حيث سمحت لنا أقوال و شهادات هذه الفئة من المطالعين الشباب بالتوصل إلى أن لنفس الفرد ممارسات مختلفة للمطالعة عبر مسار حياته كما قد يكون لمدة طويلة "شخص غير مطالع" ثم يصبح مدمن على المطالعة أو العكس أن يكون "مطالع كبير" ثم يتوقف عن هذه الممارسة.

المراجع

1) فيبر، م. (2011). مفاهيم أساسية في علم الاجتماع (ترجمة صلاح هلال). ط1. مصر. المركز القومي للترجمة.
2) عبد الاله، ع. (2010). الشباب و القراءة في الجزائر. ط1. الجزائر. ابن نديم.
3) مارشال، ج. (2000). موسوعة علم الاجتماع (ترجمة محمد الجوهري). م1. ط1. المجلس الأعلى للثقافة.
4) Akoun, A. et Ansart, P. (1999). Dictionnaire de sociologie. France: Collection Robert/Seuil.
5) Duchesne, S. et Haegel, F. (2005). L'enquête et ses méthodes: l'entretien collectif. France: Armand Colin.
6) Gonthier, F. (2004). Weber et la notion de compréhension. Cahiers internationaux de sociologie. N°116. 35-54.
7) Jodelet, D. (2003). Les représentations sociales. France : PUF.
8) Mauger, G. et Poliak, C. (1998). Les usages sociaux de la lecture. Actes de la recherche en sciences sociales. N° 123. 3-34.
9) Miliani, H. (2016). Productions et réceptions culturelles: littérature, musique, cinéma. Algérie: CRASC.
10) Petit, M. (2004). Les pays lointains de la lecture. Ethnologie française, n°4. 609-615.
11) Poulain, M. (1988). Pour une sociologie de la lecture: Lectures et lecteurs de la France contemporaine. France: Edition du Cercle de la librairie.
12) Poupart, J. (2011). Traditions de Chicago et interactionnisme: des méthodes qualitatives à la sociologie de la déviance. Recherches qualitatives, vol.30, n°1. 178-199.
13) Robine, N. (2000). Lire des livres en France: des années 1930 à 2000.France: Éditions du Cercle De La Librairie.
14) Segre, M. (2001). Itinéraires de lecteurs, note critique sur des études récentes en sociologie de la lecture. Revue française de sociologie. N°42. 149-164.